

مقدمة

اهتمت أدبيات الحجج المعيارية (المنطقية) والتجريبية (النفسية) اهتمامًا لافتًا بالحجج المتوسلة بالخوف *fear appeal arguments**¹. لكن مع هذا الاهتمام المشترك، فقد ظل كل تيار منهما، حتى اليوم، مستقلاً نسبياً عن الآخر. في هذا البحث حاولنا جمعهما معاً، أو شق قناة وصل بينهما على الأقل².

دُرست الحجج المتوسلة بالخوف في المنطق ضمن فئة حجة العصا*³ *argumentum ad baculum**⁴، بوصفها نوعاً من المغالطات غير الصورية (مع أن هناك بعض الشك في حقيقة انتمائها إليها، كما سنرى)؛ ودُرست في التواصل الكلامي لتقدير فعاليتها في حمل مجموعة مستهدفة من المجيبين على تبني إجراء موصى به، وقد ركز في المقام الأول على [دراسة] الإعلانات التجارية الموجهة للجمهور.

حددنا في بحثنا هذا علاقات مهمة هيكلية كامنة بين الجانب المعياري المعني بسلامة الحجة أو مغالطتها، والجانب التجريبي المعني بفعالية الحجة في كسب الامتثال أو فشلها في ذلك.

1. حجج العصا

درجت كتب المنطق، منذ زمن بعيد، على عد حجة العصا/التقليدية (حجة الهراوة أو عصا) حجة مغالطة. لكن، مع ذلك، فقد اختلفت في تعريفها؛ فمن هذه الكتب من يُعرفها بأنها استخدام التهديد في المحاجة، ومنهم من يُعرفها بأنها استخدام القوة، في حين يُعرفها بعضهم الآخر بأنها توسل بالخوف. في واقع الأمر، معظم الحالات المستشهد بها في كتب المنطق تنطوي فعلاً على تهديدات، لكن بينها كذلك حالات قليلة جداً من استخدام أساليب الترهيب (ما يسمى بـ "إثارة الذعر" *scaremongering*) التي لا تتخذ تحديداً شكل طرف يوجه تهديداً إلى طرف آخر.

يُعرف التهديد *a threat* (أو على نحو أدق، فعل القيام بالتهديد) بوصفه فعلاً كلامياً يستوفي ثلاثة شروط أساسية (Walton 1992b, 163) هي:

1. شرط تمهيدي *preparatory condition*: يقضي أن للمستمع ما يحمله على اعتقاد قدرة المتكلم على إيقاع الحدث المهدد به؛ وأن المتكلم والمستمع يفترضان، كلاهما، أن ذلك الحدث لن يقع ما لم يتدخل المتكلم.

2. شرط الإخلاص *sincerity condition*: يقضي أن المتكلم والمستمع كلاهما يفترض أن وقوع الحدث المهدد به لن يكون في مصلحة المستمع؛ وأن هذا الأخير يريد تجنب وقوعه إن أمكنه ذلك، وأنه سيتخذ الخطوات اللازمة لتجنبه إذا لزم الأمر.

3. شرط جوهري *essential condition*: يقضي أن المتكلم سيحرص على وقوع الحدث المهدد به، إن لم يُنفذ المستمع الإجراء الذي عيَّنه له (المتكلم).

ينطوي أكثر أنواع حجة *العصا* فعالية على فعل كلامي غير مباشر – التلفظ الذي يدفع به المتكلم – له شكل التحذير (المعلن)، لكن المتكلم والمستمع يدركان (ضمنيًا) أن ثمة تهديد قد وجّه. عصابة معروفة، مثلاً، تقول لتاجر صغير: "ينبغي أن تعطي الإتاوة، فهذا حي خطير جدًا، وأُخرج رجل لم يدفع نُهب متجره ودُمر؛ حدث ذلك مباشرة عقب فشله في الدفع". في حالات كهذه، يَمُنح الفعل الكلامي غير المباشر للمدعي *proponent* فرصة للتوصل من المسؤولية، بأن يقول: "لم أوجه أي تهديد، كان ذلك مجرد تحذير!"

الاحتجاج بالخوف نوع من حجة *العصا* التي لا تتضمن تهديدًا، وإنما مجرد تحذير من أن بعض النتائج السيئة أو المرعبة ستقع إذا امتنع المجيب *respondent* عن تنفيذ الإجراء الذي وصّي به.

استشهد والتون Walton (1992a, 230-31) لهذه الحالة بمثال إعلان يُروج طعمًا للفئران. يُحذّر هذا الإعلان الجمهور من مغبة الاقتراب من فأر نافق، لأنه قد يعرضهم للإصابة بمرض لايم Lyme Disease، ثم يقول: "مع طعمنا هذا، لن تضطروا حتى إلى لاقتراب من الفأر؛ فبمجرد أن يلتقط الطعم سيذهب للخارج لينفق هناك"⁵.

وصّف كلارك Clark (1988, 111) حالة ثانية، وهي عن إعلان باكستاني يصور أبًا يشعل سيجارة، بعد أن أنهى عشاءه، فيخر على وجهه صريعًا. في أثناء تغطية الطبيب لوجه المتوفى، يلتفت إلى آلة التصوير ويقول: "هذا يمكن أن يكون أنت، إن لم تقلع عن التدخين"⁶.

هذان المثالان من حجة *العصا* كلاهما توسّل بالخوف، إلا أن المتكلم فيهما لا يمثل تهديدًا للمستمع، بالمعنى المحدد له آنفا. كلا التوسلين مهدّد *threatening* للمستمع، بمعنى أنهما يشيران إلى بعض رسائل الخطر أو العواقب الضارة به. لكن الفرق أن المتكلم في الحالتين معًا لا يخبر المستمع أنه يعتزم شخصيًا (المتكلم) التسبب في هذا الحدث السيء الذي يُحذّر منه، إن لم يُنفذ المستمع الإجراء الموصى به.

تثير هذه الحالات مشكلة للمنطق: أنضيق تعريف حجة *العصا*، بوصفها نوعًا من الحجة التي تستخدم التهديد (أو تتوسل بالقوة، مهما كان تعريفها) أم نوسعه، فنجعلها تشمل التوسلات بالخوف التي لا تتضمن القيام بتهديد؟ ناقش رين Wreen (1988، 1989) هذه الأسئلة عن كيفية توسيع تعريف حجج *العصا* أو تضيقه، وأنا أيدت اعتماد المقاربة الأشمل⁷ في (1992a, Ch. 5).

يخلق انتهاج هذه المقاربة الأشمل مشكلًا إضافيًا أمام كيفية تعريف نوع الحجة المتوسلة بالخوف (التي لا تنطوي أساسًا على تهديد)، بوصفها نوعًا مُنمّاًا من الحجج المتمتعة ببنية واضحة يمكن الاحتكام إليها في تقييم الحالات. جزء من الحل هو أن نَعُدَّ الاحتجاج بالخوف حاملًا لبنية نوع من الاحتجاج يدعى الاحتجاج بالعواقب، أي تقديم حجة لقبول (رفض) صدق عبارة ما بذكر عواقب (على المجيب) قبولها (أو رفضها) (Walton 1992a, 26).

كثيرًا ما يُستخدم الاحتجاج بالعواقب في المداولات، التي ينصح فيها أحد الطرفين للآخر، فيدله على التصرف المناسب حين يواجه وضعًا يتطلب حسن الاختيار.

يتخذ الاحتجاج بالعواقب [ح.ع] شكلين أساسيين: إيجابي (ح.ع +) وسلبي (ح.ع -):

(ح.ع -)

— إذا نَقَذْتَ (المجيب) الإجراء "إ"،

— فسترتب عنه عواقب سلبية؛

— لهذا، لا ينبغي لك تنفيذ "إ".

(ح.ع +)

— إذا نَقَذْتَ (المجيب) الإجراء "إ"،

— فسترتب عنه عواقب إيجابية؛

— لهذا، ينبغي لك أن تنفِّذ "إ".

يمكن تطبيق الأشكال نفسها، (ح.ع -) و (ح.ع +)، حين يكون الإجراء المتحدّث عنه هو تقصير أو فشل في تنفيذ بعض الإجراءات المحددة "إ" ⁸. نعني هنا بكلمتي "إيجابية" و"سلبية": "جيدة (سيئة) للمجيب"، وفي الوقت نفسه "يُعدها المجيب جيدة (سيئة)".

2. بحوث تجريبية في التوسلات بالخوف

يرى الباحثون التجريبيون التوسل بالخوف نمطًا مميزًا من الاحتجاج؛ فهو عندهم ضرب من الحجة التي تُستخدم لتهديد فئة مستهدفة بعواقب مخيفة (عادة ما تكون هذه العواقب هي احتمال الموت) لحملها على تبني الاستجابة المطلوبة.

يُعرِّف ويت Witte التوسل بالخوف بأنه "رسالة مقنّعة تحاول إثارة مشاعر الخوف بتصوير تهديد جدي ووثيق الصلة بالذات، ثم اثّباع هذا الوصف باستعراض توصيات تُقدّم على أنها فعالة ومستطاعة في ردع ذلك التهديد" (1994, 114). يتكون مثل هذا التهديد، وفقًا لـ ويت وسامبسون Sampson وليو Liu، عادة من "بعض النتائج الرهيبة أو الأذى الذي سيصيب الفرد لعدم تبنيه

الاستجابة الموصى بها" (3,1993). ما وُصف هنا بأنه تهديد ربما يمكن تعريفه (في ضوء التعريف المقترح أنفـالـلتهديد) بوصفه موقفًا مهددًا بالخطر threatening situation.

نذكر من بين أمثلة التوسلات بالخوف المستخدمة في الإعلانات التجارية - وغيرها من أنواع الرسائل العمومية التي تستهدف ردود فعل الجمهور- ما يلي: درس جانيس Janis وفيشباخ Feshbach (1953) التحذيرات المتوسلة بالخوف التي تُنذر المراهقين تسوس أسنانهم، إن لم تنظف تنظيفًا صحيحًا. ودرس روجرز Rogers وموبورن Mewborn (1976) الإعلانات التي تقول للمدخنين إنهم سيلقون موتًا مؤلمًا بسرطان الرئة، ما لم يقلعوا عن التدخين. ودرس ويت (1994) التوسلات بالخوف التي تُعبر عن تهديد لطلاب الجامعات بأنهم عرضة للإيدز، إن لم يستخدموا العازل الطبي استخدامًا صحيحًا.

أشارت بحوث ويت إلى أن التوسلات بالخوف يمكن أن تكون فعالة، لكن بشرطين:

— أن يكون التهديد ذا مصداقية، ليراه المجيب خطرًا حقيقيًا عليه.

— عَد المجيب الإجراء الموصى به لردع التهديد ممكنًا وسهل التنفيذ.

في الواقع، تشير هذه البحوث، وفق تحليلنا، إلى أن تأثر المجيب بهذه التوسلات رهين بالموازنة بين الشرط الأول والثاني. ففقط إذا كانت جدوى الإجراء الموصى به وسهولته تَبْزَان التهديد، فإن المجيب سيقنع باتخاذ ذلك الإجراء؛ وإلا فإنه سيختار التعاطي معه (التهديد) عاطفيًا، كأن يبرر لنفسه الظن بأن التهديد قد لا يحدث حقيقة. على ما يبدو فإن هيكلة هذه الخيارات هي مهمة منوطة بمنطق حجة التوسل بالخوف.

الاحتجاج بالخوف في حالة المراهقين، لحملهم على استخدام العازلات الطبية في برنامج كَندي، استجاب له المراهقون ممن قاوموا الرسالة استجابة نمطية، وهي: "لا يمكن أن يحدث هذا لي أبدًا". وهذه من سمات المراهقين الذين يشعرون أنهم "خالدون"، أو أن العواقب المميتة لا يمكن أن تطولهم⁹. استجابتهم هذه هي مساءلة للشرط الأول الوارد في تعريف وايت، أو إنكاره.

تقود هذه الأسئلة التجريبية عن فعالية الحجج المتوسلة بالخوف، إلى أسئلة معيارية - يبدو أنها مرتبطة بها - تخص الشروط التي تكون بموجبها هذه الحجج سليمة correct أو غير سليمة incorrect. لا أقصد هنا بعبارة "سليمة" و "غير سليمة" أنها صحيحة استنباطيًا*¹⁰ deductively valid أو قوية استقرائيًا؛ بل أحيل إلى المعايير التداولية التي تُستخدم وفقها حجج كهذه في تحويل عبء الدليل*¹¹ burden of proof ضمن سياق تبادل حوار (Walton, 1992b). يبدو أن للحجج المتوسلة بالخوف، من حيث هي نوع من الاحتجاج بالعواقب، بنية تنطوي فعلاً على متطلبات معيارية، استيفاؤها هو ما يميز الاستخدام السليم (المناسب) لهذه الحجج من غيره.

لا غرو أن هذا السؤال المعياري عن سلامة الحجة، تبعًا لبعض المعايير البنيوية المميزة للحجة السليمة، ليس هو الهم الأول للبحوث التجريبية في التوصل بالخوف؛ كونها معنية أساسًا بتحديد الشروط التي بموجبها تكون الحجج فعالة (ناجعة)، أي تجعل الجمهور المجيب يمثل النتيجة الموصى بها بتنفيذ ما تطالبه به.

لكن، مع ذلك، فإن هذين الاهتمامين [المعياري والتجريبي] مرتبطان في حالة الحجج المتوسلة بالخوف، كما أمل أن أظهر هنا. فما يستطيع المجيب إتيانه من أفعال، كما سنبين، محصور أساسًا في نطاق الأفعال التي تجيزها البنية التحتية underlying structure للحجة المتوسلة بالخوف بوصفها نوعًا من التفكير العملي.

ينبغي أن نشير إلى مسألة مهمة تخص المصطلحات الموظفة في البحوث التجريبية، هي اختلاف تعريفها لمصطلح التهديد عن المعنى المتقدم ذكره في تعريف فعل التهديد. فويت (1994، 114)، مثلاً، يُعرف التهديد بأنه: "خطر أو ضرر موجود في البيئة علمه الأفراد أم جهلوه". فالتحذير القائل: "سرطان الرئة مميت"، هو تهديد بهذا المعنى، لكنه ليس بالضرورة تهديدًا بالمعنى الذي أعرفه به (1992a).

لهذا، فمن المهم أن نميز هنا بين حجة مهددة threatening وأخرى تعبر عن تهديد expresses a threat (بالمعنى المتقدم ذكره والمحدد بعناية). الشيء المهدد هو ما يمثل خطرًا أو ضررًا على السلامة أو حفظ النفس. فيمكن أن تكون الحجة مهددة بهذا المعنى، دون أن تُعبر عن تهديد للمجيب (بمعنى الفعل الكلامي المعروف آنفًا). يُحذّر الصوصُ في قصة "الفرخ الصغير"^{12*}، قائلاً: "السماء تقع على الأرض!". وقد وجدت حيوانات الحظيرة هذا مهددًا جدًا (منذر بالخطر)، لكن الصوص (على ما يبدو) لا يهدد هذه الحيوانات، أي يتهددهم بالضرب إذا لم يعطوه حَبًا أو ما شابه.

على وضوح ما تظهره وجهة النظر النحوية هذه عن الفرق بين التهديد threat والمهدد threatening^{13*}، فإن ذلك ظل مصدرًا للكثير من الخلط في موضوع الحجج المتوسلة بالخوف.

3. بنية الحجة المستمدة من التوصل بالخوف

تقوم بنية الحجة المستمدة من التوصل بالخوف على المكونات الآتية: الحجة لها عارض: "ع"، يحاور مجيبًا (خصم، مستمع): "خ"؛ غرض "ع" من الحوار هو جعل "خ" ينقذ إجراء معينًا: "إ". تدور وسائل الحمل على الامتثال حول خطر: "ط"، يراه "خ" مألًا سيئًا جدًا، وهو يمثل عادة خسارة محتملة لسلامة "خ" أو لدوام رفايته. في حالات كثيرة، تمثل "ط" خسارة "خ" للحياة. هذه السمة واضحة في الحالات المذكورة في القسم الأول من هذا البحث.

جوهر الحجة المستمدة من التوسل بالخوف هو الإشرط الذي يُقدّم بوصفه رسالة من "ع" إلى "خ". وهو كالآتي:

(ش.خ)

- إذا (خ) لم تنقذ "إ"، فإن "ط" سيحدث.

يُستخدم الإشرط (ش.خ) في الحجة المستمدة من التوسل بالخوف بوصفه جزءًا من الاستنتاج المنطقي المقدم من "ع" إلى "خ". وعلى نحو أكثر دقة، نقول إن سلسلة الاستدلال هذه هي تعاقب لاستنتاجين رُبطا معًا:

(ش.ط)

- "ط" سيئة جدًا عليك.

- لهذا، ينبغي لك إيقاف "ط" إذا أمكنك ذلك.

- لكن السبيل الوحيد أمامك لإيقاف "ط" هو القيام بـ "إ".

- لهذا، ينبغي لك القيام بـ "إ".

يُظهر تأثير (ش.ط) عند توظيفه في حالة معينة، عندما يوضع المجيب "خ" بين المطرقة والسندان: فإما أن يقبل ضرورة حدوث "ط"، وهو ما لا يطيقه بحال، أو يقوم بـ "إ". لهذا، فالغرض من استخدام الحجة المستمدة من التوسل بالخوف هو جعل "خ" يقوم بـ "إ"، أي أن يُنقذ ما وصّي به (ما امتنع من فعله أو قصر فيه).

بيد أن ثمة جانبًا آخر للسياق العملي، حيث يُستخدم هذا النوع من الحجج أثناء تبادل المحادثات اليومية، هو أن قيام "خ" بـ "إ" ينطوي عمومًا على مشقة أو كراهة. لهذا، فاستخدام "ع" لحجة متوسلة بالخوف، يوجب توفيرها حوافز كافية للتغلب على مقاومة "خ" القيام بـ "إ".

الحجة المتوسلة بالخوف مرعبة، وهي ليست مستخدمة أو مفيدة في السواد الأعظم من حالات الحجج اليومية. فلا يلجأ إليها إلا إذا وجدت مقاومة كافية أو خمول من جانب "خ" يتطلب حجة قوية تُفْت مقاومة؛ من هنا يستمد تعبير "بين المطرقة والسندان" ملاءمته لوصف حال "خ".

ينطوي فعل "خ" لـ "إ" على درجة من الألم والجهد أو الكراهة؛ لهذا، كي تكون الحجة فعالة، يجب أن تكون القيمة السلبية لـ "ط" عند "خ" أكبر بكثير من القيمة السلبية لتنفيذ "إ". فظاعة سوء "ط"، إن صح التعبير، يجب أن تجبر "خ" على اختيار السوء المحدود لـ "إ". يجب أن يضطر إلى اختيار أهون الأملين.

يتعلق أحد جوانب الحجة المتوسلة بالخوف الذي لا يُعد من سماتها الأساسية، إلا أنه مهم لفهم كيفية عملها، بالمتغيرين "ط" و "إ". ف"ط" كثيرًا ما تكون نتيجة آجلة، قد تحدث مستقبلاً في وقت غير محدد؛ في حين، قد يكون "إ" إجراء يتطلب اتخاذ خطوات فورية معجلة، على نحو أكثر إلحاحًا لـ "خ"؛ وإن لم يفعل، فإن ذلك سيؤثر فيما سيحدث في المدى القريب. هذا الجانب الزماني هو من سمات التفكير العملي كما يُستخدم في المداولات والتخطيط، انظر: (Wilensky 1983, Bratman 1987 وWalton 1990).

هذا الجانب مهم؛ لأن التوسل بحجج الخوف غالبًا ما يكون أجدى عندما تكون هناك معاوضة بين عاقبة أو هدف آجل وبعض الإجراءات اليومية ذات التأثير العاجل. كثيرًا ما تنطوي هذه الحجج على الاختيار ما بين السلامة على المدى الطويل والإشباع الفوري. لهذا، إن كان المجيب غير مُلم إلمامًا كافيًا بالعواقب طويلة الأمد للأفعال، أو أنه لسبب ما لا يلقي لها بالاً، فقد لا يُجدي معه استخدام حجة متوسلة بالخوف. فهذا النوع من الحجج قد يؤثر في بعض المجيبين دون بعض؛ فإذا كان مثلاً المجيب مراقبًا، ممن لا يبالون كثيرًا بالعواقب طويلة الأجل لأفعالهم أو لا يُقدرونها، فإن الحجة المتوسلة بالخوف لن تفعل فعلها فيه.

أصبح واضحًا الآن أن جزءًا على الأقل من بنية شكلي الحجة (ش.خ) و (ش.ط) هو بنية حجاج بالعواقب. إذ يوصى بـ "إ" على أنه إجراء ينبغي للمجيب تنفيذه، على أساس أنه سيجنبه عواقب وخيمة (أي "ط").

لتحصيل منظور أوسع عن الحجة المستمدة من التوسل بالخوف، بوصفها نوعًا مميزًا من الحجة المستخدمة لربط سلسلة من الاستنتاجات معًا، يلزمنا الانتقال بالحديث إلى تحليل الاستدلال العملي.

4. الاستدلال العملي

للاستدلال العملي صورة خاصة، بوصفه نوعًا من الاستنتاج المعلن، كما حلله كل من: أنسكيم (Anscombe 1957) وديغز (Diggs 1960) وفون رايت (Von Wright 1963، 1972) وكلاارك (1987) و أودي (Audi 1989)، وأنا شخصيًا (1990)¹⁴.

يستند الاستدلال العملي [إ.ع]، في أبسط صورته، إلى مقدمتين. تنص الأولى على أن فاعلاً: "ف" له هدف: "ه" يقصده، والثانية على أن بعض الإجراءات: "إ" يعدها "ف" وسيلة لتحقيق "ه".

(إ.ع)

— "ه" هدف لـ "ف".

— يظن "ف" أن القيام بـ "إ" وسيلة لتحقيق "ه".

— لذلك، يخلص "ف" إلى أن القيام بـ "إ" هو إجراء معقول عمليًا.

الاستدلال العملي هو سلسلة لتعاقب استدلالات فرعية من الشكل (إ.ع) معًا.

ثمة مثال بسيط، من النوع الذي درسه ديغز (1960)، سيوضح كيف يُستخدم الاستدلال العملي في التبادلات اليومية للاتصالات التشاورية:

الحالة "د": عابر سبيل في ممر Centennial Hall قال للأستاذ "ج": "عذرًا، كيف أبلغ Graham Hall؟" رد الأستاذ "ج": " اذهب إلى نهاية الممر، ثم اتجه يمينًا، تجاوز Dean's Office، اتجه يسارًا في نهاية الرواق ثم عبر قسم الإعلام."

في الحالة "د"، بيّن عابر السبيل بجلاء أن هدفه من السؤال هو بلوغ Graham Hall. وهذا هدف محدد جدًا. وقد اقترح الأستاذ "ج" إجراءً يقول إنه سيمكّن عابر السبيل من تحقيق الهدف "هـ". استُهل التبادل التداولي في الحالة "د" بسؤال "كيف"، طلبًا للإرشاد إلى وسيلة تُبلّغ هدفًا، ويمكن أيضًا وصفه بأنه تبادل حوار يُلتمس فيه طرف (عابر السبيل) معلومات من طرف آخر (الأستاذ: "ج") يفترض أنه في وضع يخوله معرفتها.

في حالات أخرى، قد يكون الهدف مجردًا. فمثلاً، قد يكون هدف الطبيب من العلاج هو الإسهام في تحسين صحة مريضه. لكن، لأن "الصحة" مفهوم مجرد جدًا، فقد يصعب أن نحدد، في وضع بعينه، مقدار ما يمكن أن تبلغه هذه الصحة، أو ما يحتمل (جدلاً) أن يسهم فيها.

وفقًا للدراسة الاستقصائية التي أجريتها عن بنية خصائص حجة الاستدلال العملي والواردة في (1992c)، فإنه نوع من الحجج التداولية، التي تُقيّم تقييماً أفضل بوصفها تبادلاً حوارياً بين عارض "ع" ومجيب "خ". كل منهما يكون ملتزماً بمجموعة من الالتزامات من النوع الذي حدده هامبلين Hamblin (1970, 1971). فهدف العارض من الحوار هو استخدام مقدمات استدلال عملي من الشكل (إ.ع) استخدامًا معقولاً لضمان التزام المجيب النتيجة المطلوبة.

في إطار حوار كهذا، لا يكون المجيب ملتزماً النتيجة أصالة؛ أي أنه يكون مستعداً لمساءلتها أو حتى رفضها. لهذا، توجد على كل استخدام للحجة العملية من الشكل (إ.ع) يستخدمها "ع" مجموعة من أربعة أسئلة نقدية (أ.ن) مرتبطة بها، ويمكن لـ "خ" استخدامها (Walton 1992c, 999)، وهي:

(أ.ن)

1. هل ثمة وسائل بديلة لتحقيق "هـ" بخلاف "إ"؟
2. هل يستطيع "ف" فعل "أ"؟
3. هل لـ "ف" أهداف غير "هـ" يمكن أن تتعارض وتنفيذ "هـ"؟
4. هل يترتب عن قيام "ف" بـ "إ" آثار جانبية سلبية ينبغي أخذها بالحسبان؟

في أثناء تبادل الحوار، إذا كانت مقدمتا حجة لها شكل (إ.ع) مؤمنتين تأمينًا مُرضيًا بالأدلة التي يقدمها "ع"؛ فإن عبء الدليل، أو عبء البينة weight of presumption، يُلقى على "خ" كي يرد. فإذا طرح "خ" أي من الأسئلة النقدية الأربع (أ.ن)، فإن ثقل القرينة يعود على "ع" للإجابة.

عمومًا، لا يُعد السؤال النقدي (2) موضع شك في حالات الحجج المتوسلة بالخوف المبحوثة هنا*¹⁵؛ لذلك، فانشغالنا سيكون بالمقدمات الثلاث الأخرى. مثلًا، في الحالة "د" المذكورة آنفًا، قد يُثار السؤال (1) إذا وُجدت سبل أخرى لبلوغ Graham Hall تصلح مرشحًا محتملاً لتكون "إ". لنفترض، مثلًا، أن إحدى السبل أقصر لكنه أعقد، فأيهما "الأفضل" إذن؟ سلوك السبيل الأطول يضعف احتمالية التوهان، وقد يُسهل على الأستاذ "ج" إعطاء التوجيهات. ما هو "أفضل" يعني هنا ما يفضي إلى تحقيق الهدف بفعالية.

السؤال (3) قد يكون مهمًا؛ لأن "خ" ربما له أهداف أخرى تهمة كذلك. السؤال (4) من المحتمل أن يكون مهمًا أيضًا في التوسلات بالخوف؛ لأن تنفيذ "إ" قد يكون صعبًا أو مؤلمًا لـ "خ". قد يكون لتنفيذ "إ" عواقب أخرى على "خ"، وهي عنده أشد إيلامًا أو أهمية من "ط".

5. أسئلة نقدية عن التوسلات بالخوف

عندما تُستخدم حجة متوسلة بالخوف لحمل مجيب ما على تبني إجراء موصى به، فإن فرضيتنا هي أن بنية هذه الحجة تُحلل على نحو أفضل بعديًا حالة case من التفكير العملي المستخدم في حوار تقديم مشورة (نوع من الحوار التشاوري بين طرفين)¹⁶.

يُستند التوسل بالخوف إلى مقدمتين، تفترض الأولى أن المجيب يستهدف حفظ ذاته، والثانية أنه يفهم، أو يمكن أن يفهم، أن قيامه ببعض الإجراءات سيسهم في تحقيق هذا الهدف أو سيعيقه. الاستدلال مرتبط بمؤشر الزمن أو هو مؤقت بطبيعته. النتيجة التي يُفترض أن يخلص إليها المجيب هي أنه ينبغي له (من الناحية العملية، شريطة التزامه الأهداف) أن يتبنى الإجراء الموصى به.

لكن، ما الخيارات التي يملكها المجيب المتداول تداولًا عقلانيًا*¹⁷؟ كيف يمكنه الإفلات من نتيجة الاستدلال؟ الخيارات المتاحة أمامه تمثلها الأسئلة النقدية الأربعة (أ.ن).

انظر قضية التدخين. المجيب لا يود الإصابة بسرطان الرئة؛ فهذه عاقبة مؤلمة جدًا ومن شأنها أن تُقصر حياته. وعليه، فإن الإصابة بسرطان الرئة في المستقبل تُعد "ط"، أي عاقبة وخيمة تتعارض والهدف الأساسي المتمثل في حفظ النفس. علاوة على ذلك، فـ "ط" عمومًا هي نتيجة سيئة جدًا ومؤلمة. لكن، كيف يمكن للمجيب تفادي "ط"؟ الإجراء الموصى به (ما امتنع من فعله أو قصر فيه) هو التوقف عن التدخين. أترى للمجيب مفرًا من الوقوع "بين المطرقة والسندان"؟

نأتي بعد هذا إلى البحث عن مخرج من بين ظهرائي الأسئلة النقدية. أهنالك وسائل لتجنب "ط" دون الإقلاع عن التدخين؟ يبدو ألا مناص؛ فالخبراء العلميين يرون التدخين شرطاً كافياً للإصابة بسرطان الرئة (على مدى زمن طويل كفاية)، أو على الأقل هو كاف لجعل الإصابة به واردة جداً. ولا يبدو أن هناك أي وقاية معروفة أو حماية من هذه النتيجة إذا دخن المرء. على الأقل، هذه افتراضات لها شعبية، ويُفترض أنها تستند إلى مكتشفات علمية.

ثانياً، هل الإقلاع عن التدخين ممكن؟ الجواب نعم، لكنه صعب. وهذا يقودنا إلى السؤال (4).

الإقلاع عن التدخين صعب؛ لأنه إدمان، والإقلاع عنه مؤلم. وله أيضاً عواقب أخرى يمكن عدها غير سارة. فمن المعروف مثلاً ميل المقلعين عن التدخين إلى اكتساب وزن إضافي. وعليه، فهناك آثار جانبية سلبية لـ "إ"، والأسوأ من هذا كله، أن هذه العواقب عاجلة وليست آجلة (في المستقبل البعيد). لذا، يتطلب تنفيذ "إ" بعض العزم والحسم. وهذه آفة الإرادة الضعيفة *Akasia*.

لكن السؤال النقدي (3) هو أيضاً عامل مهم. فالتدخين أحد تلك الملذات الصغيرة أو المكافآت التي تساعدنا على اجتياز مصاعب الأيام، نلجأ إليها للشعور ببعض المكافأة على ما بدلناه من جهد. لذلك، فالتدخين يلبي حاجة أو هدفاً أو مكافأة عاجلة.

في هذه المرحلة من الاستدلال، يمكن أن يظهر تضارب في الأهداف يضطر المجيب إلى تعيين أي أهدافه هو الأهم. فإن ظهر هذا التضارب، فقد يكون على المجيب النظر في إمكان وجود وسيلة أخرى لتحقيق الهدف الثانوي [الملذات الصغيرة] دون الدخول في صراع مع الهدف الأساسي [الحياة]؛ كإيجاد مصادر للمتعة العاجلة غير التدخين (التي ليس لها العواقب القاتلة نفسها).

في حالة الإيدز، يتمثل العامل المهم في كون المتعة الجنسية (ربط علاقة جنسية مع زملاء الدراسة) هي بوضوح مصدر قوي جداً للمتعة العاجلة (وربما للرضا الاجتماعي أيضاً) عند المراهقين. ثم إن الطلاب المقابلين قد وفدوا من بلدات صغيرة، حيث يُرجح اقتناء العازل الطبي من الصيدليات تعرف الأقارب أو أصدقاء العائلة إليهم. لهذا، يجب على الحجة المستمدة من التوسل بالخوف أن تسد على المجيب منافذ الهروب بالسؤالين النقيدين (3) و(4).

لكن أكبر عقبة أمام استخدام الحجة المستمدة من التوسل بالخوف في هذه الحالة هي أن المراهقين يعتقدون أنهم (شخصياً) "خالدون". أي أنهم يقاومون فكرة كون فقدان المناعة المكتسبة (الإيدز) خطراً حقيقياً يطولهم شخصياً. يوصلنا هذا إلى مسالة المقدمة الثانية للاستنتاج العملي، كما سطرناه آنفاً. وهي تعني، في هذه الحالة، شكاً أو إنكاراً للعبارة القاضية بكون الإيدز خطراً من شأنه قتلي.

الأمر الآخر الذي يجب توخي الحذر بشأنه حال استخدام الحجج المتوسلة بالخوف، هو حصول المجيب على دليل ما يفيد بتضخيم احتمال تحقق نتيجة التهديد؛ لأنه سيتخذ ذلك ذريعة للإفلات من ضغط الحجة. ولنا في فيلم "Reefer Madness" الذي كان يوظف في الخمسينيات لتخويف المراهقين من المخدرات وإبعادهم عنها*¹⁸ شاهدًا كلاسيكيًا على الحالات المبالغ في استخدام الاحتجاج بالخوف. لهذا، فمن الأهمية بمكان أن تبدو الحجة المتوسلة بالخوف "واقعية" عند تقديمها، وألا تخلق انطباعًا بأن العاقبة الوخيمة التي تُنذر بها "مُفرطة" أو مضخمة.

الهوامش

مصدر النص:

Walton, D. (1996). Practical Reasoning and the Structure of Fear Appeal Arguments. *Philosophy & Rhetoric*, 29(4), 301-313.

*¹ الإحالات المقرونة بنجمة من وضع المترجم:

تدور معاني "Appeal" على:

- الطلب والالتماس أو الاستغاثة / الاستئناف أمام القضاء (أو من له سلطة) رجاء إعادة النظر في قرار سابق / صفة تجعل حاملها (شخص أو شيء) مرغوبًا وجذابًا. / "Appeal to"(idiom) : محاولة إقناع شخص ما بفعل شيء من خلال مناشدة مبدأ أو صفة. كأن نقول ناشدت إحساسه بالعدالة.

<https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/appeal>

بهذا، تكون الترجمة الحرفية لـ "Fear appeal" هي استدعاء الخوف والتوسل به ومناشدته واللجوء إليه، لحمل المستمع على فعل شيء ما أو إعادة النظر في قرار اتخذه (استئناف). هذا المعنى قريب في لساننا من قول القائل: ناشدتك الله والرحم. و "Appeal to fear Argument" تدل على الحجة المعولة على التوسل بالخوف في تحقيق الإقناع. والتعويل على شيء ما في إقناع المستمع هو احتجاج به. إذا تقرر هذا، فسنعاوض بين العبارات الآتية: "الحجة المتوسلة بالخوف" و "الاحتجاج بالخوف" و "التوسل بالخوف" حسب ما يجيزه السياق ويقره النص المترجم عنه.

² دُعِم هذا العمل بمنحة من مجلس البحوث الاجتماعية والعلوم الإنسانية الكندي (The Social Sciences and Humanities Research Council of Canada) وأود أن أشكر Kim Witte على إمدادي بمطبوعات بعض البحوث.

³ حيثما وردت في النص عبارة: "حجة العصا" مائلة، فقد وردت في النص المترجم عنه باللغة اللاتينية: "Argumentum ad Baculum".

⁴ الترجمة الحرفية لـ Argumentum Ad Baculum هي: Argumentum: حجة، Baculum: العصا، الصولجان (السلطة الملكية)، القضيب. Ad: حرف جر، له معان عدة، أهمها: إلى، ل (لام التعليل)، لحال (بسبب)، لكي، على (يتعلق)، نحو (في اتجاه)، ب، بحسب، في (حول)، من. بجمع هذه المعاني يكون معنى العبارة ككل: حجة من العصا، حجة بالعصا، حجة نحو العصا. أو نقول: احتجاج بالعصا، أو احتجاج بالقوة، أو توسل بالقوة والعصا، أو اتخاذ العصا حجة.

⁵ كثير من طلبتي في أقسام الحجاج ممن شملهم الاستطلاع كانوا قلقين من الأثر الجانبي الذي يمكن أن يحدث إذا زحف الفأر إلى مكان ما في المنزل لا يمكن الوصول إليه ونفق هناك.

⁶ من الواضح أن هذا الإعلان سُحب؛ لأن المشاهدين وجدوه صادمًا ومزعجًا، ولا يصلح أن يكون رسالة تجارية تلفزيونية (انظر Clark 1988, 111).

⁷ يترتب عن تبني والتون لهذه المقاربة الموسعة رفض عد حجة العصا مغالطة بطبيعتها. فهي قد تكون كذلك وقد لا تكون، بحسب استخدامها وسياق الحوار الذي وظفت فيه. فحجة العصا إذا تضمنت تهديدات ناعمة غير عنيفة وغير مباشرة، وصُبت في قالب

حجاج عملي مستند إلى ذكر العواقب، تكون حجة مشروعة ومعقولة؛ وإذا تضمنت تهديدات خشنة عنيفة ومباشرة، وخرقت ضوابط نوع الحوار الذي استخدمت فيه، تكون حجة مغالطة. (انظر كتابي المؤلف: (2010)، *The Place of Emotion in Argument* و (2013)، *Scare Tactics: Arguments that Appeal to Fear and Threats*)

⁸ لو أن أبًا رأى من ابنه تقصيرًا في أداء الصلاة، ورغب في حمله على أدائها، فيمكنه اتباع الشكليات معًا (الاحتجاج بالعواقب السلبية والإيجابية معًا) لتحقيق الرغبة ذاتها:

- | | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| الاحتجاج بالعواقب السلبية: | الاحتجاج بالعواقب الإيجابية: |
| - إذا قصرت في أداء الصلوات، | - إذا اجتهدت في أداء الصلوات، |
| - فإن الله سيغضب عليك؛ | - فإن الله سيرضى عنك؛ |
| - لهذا، يجب أن تصلي. | - لهذا، يجب أن تصلي. |

⁹ بث هذا التقرير الخاص على قناة CBC ضمن الأخبار المسائية (*Evening News*)، 12 نوفمبر 1994.

¹⁰ * مصطلح منطقي تقني، يدل على قيمة صورية تطلق على الحجج الاستنباطية التي يستحيل أن تكذب نتائجها إذا كانت جميع مقدماتها صادقة. وتقابلها قيمة الفساد (*Invalid*).

¹¹ * مصطلح قانوني، يعني إلزام المدعي (في قضية خلافية) إثبات دعواه والتدليل عليها (البينة على من ادعى). فإن عجز، خسر دعواه؛ لكن إن نجح، يُلقى عبء الدليل على الخصم المعارض، الذي يصبح مطالبًا بإقامة الدليل على بطلان دعوى خصمه، أو التسليم لها. يستمر المدعي والمعارض في تداول تحمل عبء الدليل إلى أن يعجز أحدهما فتقوم عليه الحجة.

¹² * قصة أطفال شهيرة، تحكي قصة فرخ دجاج صغير، سقطت ورقة شجرة فوق رأسه فظن أن السماء ستقع على الأرض، فولى إلى بقية الحيوانات منذرا، صارخا: "السماء ستقع على الأرض". فصدقه بعضهم، وقرروا رفع الخبر إلى الأسد.

¹³ * نميز نحوًا بين:

threat: Noun اسم، تهديد threaten: Verb فعل، هدد threatening: Adjective نعت، مُهدد.

في الحجة المهددة يعبر المتكلم عن الاستعداد لفعل ما يؤدي إلى ظهور النتائج السيئة التي يخشاها المجيب (لأن لم تفعل ما أمرك به لأضربنك)، أما الحجة المتوسلة بالخوف فهي تعبر عن تهديد لا يتورط فيه المتكلم، فهو لا يظهر أي نية تدل على أنه سيعمل شخصيًا على فعل وتحقيق النتيجة السيئة التي يخشاها المجيب (كقول الطبيب لمريضه: "إن لم تتوقف عن التدخين، فإنك عرضة للسرطان").

¹⁴ تاريخيًا، تعود فكرة الاستدلال العملي إلى مفهوم أرسطو عن الحكمة العملية، أو الحصافة *Phronesis* (انظر: "الأخلاق إلى نيكوماخوس" على وجه الخصوص).

¹⁵ * لا يعد كذلك، لأنه شرط أساسي لجدوى التهديد. فإذا كان المهدد عاجزًا عن فعل الإجراء الموصى به، والمهدد يعلم ذلك؛ فلن يكون التهديد مجديًا، أو مبلّغًا للهدف المرجو من الاحتجاج به.

¹⁶ عن أهداف وخصائص هذه الأنواع من الحوار (محادثة، تبادل نقاش)، انظر: *Plausible Argument in Everyday Conversation* (Walton 1992b).

¹⁷ * هو من إما يقبل الحجة المقنعة (لا يكابر)، أو يردّها بسؤال نقدي مناسب لبنيتها إن عدها غير مقنعة.

¹⁸ * فيلم دعائي أمريكي شهير، يُظهر عددا من المراهقين ممن يتعاطون المخدرات في حالة هستيريا، يقتلون بعضهم بعضًا وينتحرون... على نحو مضخم وفج. ولأن ما صورته الفيلم لم يكن مطابقا لحال متعاطي لمخدرات، فقد أصبح غرضًا للتندر والسخرية.

قائمة المراجع

- Anscombe, G. E. M. *Intention*. Oxford: Blackwell, 1957.
Aristotle. *The Nicomachean Ethics*. Trans and ed. W. D. Ross. London: Oxford University Press, 1925.
Audi, Robert. *Practical Reasoning*. London: Routledge, 1989.

- Bratman, Michael. *Intentions, Plans, and Practical Reason*, Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1987.
- Clark, Erik. *The Want Makers, the World of Advertising: How They Make You Buy*. London: Hodder & Stoughton, 1988.
- Clarke, D. S., Jr. *Practical Inferences*. London: Routledge & Kegan Paul, 1985.
- Diggs, B. J. "A Technical Ought," *Mind* 69 (1960): 301-17.
- Hamblin, Charles L. *Fallacies*. London: Methuen, 1970. Rpt. Newport News, Va.: Vale Press, 1993.
- _____. "Mathematical Models of Dialogue," *Theoria* 37 (1971): 130-55.
- Janis, I. L., and S. Feshbach. "Effects of Fear-Arousing Communications." *The Journal of Abnormal and Social Psychology* 48 (1953): 78-92.
- Rogers, R. W., and C. R. Mewborn. "Fear Appeals and Attitude Change: Effects of a Threat's Noxiousness, Probability of Occurrence, and the Efficacy of the Coping Responses." *Journal of Personality and Social Psychology* 34 (1976): 54-61.
- Walton, Douglas N. *Practical Reasoning: Goal-Driven Knowledge-Base it Action-Guiding Argumentation*. Savage, Md.: Roman & Littlefield, 1990.
- _____. *The Place of Emotion in Argument*. University Park, Pa.: The Pennsylvania State University Press, 1992a.
- _____. *Plausible Argument in Everyday Conversation*. Albany: State University of New York Press, 1992b.
- _____. "Practical Reasoning." In *Encyclopedia of Ethics*, vol. 2, ed. Lawrence C. Becker and Charlotte B. Becker, 996-1000. New York: Garland, 1992c.
- Wilensky, Robert. *Planning and Understanding: A Computational Approach to Human Reasoning*. Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1983.
- Witte, Kim. "Fear Control and Danger Control: A Test of the Extended Parallel Process Model (EPPM)," *Communication Monographs* 61 (1994): 113-34.
- Witte, Kim, Joe Sampson, and Wen-Ying Liu. "Addressing Cultural Orientations in Fear Appeals: Promoting AID-Protective Behaviors among Hispanic Immigrant and African-American Adolescents." Unpublished paper, 1993.
- Wreen, Michael J. "May the Force Be with You." *Argumentation* 2 (1988): 425-40.
- _____. "A Bolt of Fear." *Philosophy and Rhetoric* 22 (1989): 131-40.
- Wright, G. H. von. *The Varieties of Goodness*. London: Routledge & K.